ابن أبي محلي وتحريضه الجزائريين والأتراك على تحرير وهران من قبضة النصارى الإسبان عام 1016هـ/1607م

الدكتور/ عبد الله حمادي الإدريسي
باحث وكاتب في تاريخ الصحراء الغربية الجزائرية
مختبر البحث التاريخي–تاريخ الجزائر
–/جامعة وهران الجزائر

1.وهران جغرافيا وإداريا[1]:

وهران هي حاليا من ناحيتها الإدارية ولاية شهيرة من ولايات الغرب الشمالي الجزائري ,موقعها بساحل البحر الأبيض المتوسط,وقد كانت من ناحيتها الإدارية أيضا ابان فترة الحكم التركي العثماني بالجزائر قاعدة بايليك الغرب الجزائري تمتد حدودها من شرق مدينة الشلف(الأصنام سابقا) شرقا إلى الحدود المغربية غربا,وإلى مشارف الصحراء جنوبا,بينما وصل حدها الجنوبي إبان فترة الإحتلال الفرنسي للبلاد إلى حدود عمالة الساورة.

أما بعد إعادة التقسيم الإداري عام 1958م خلال الثورة الجزائرية المسلحة وعام 1975م بعد إستعادة الإستقلال الوطني تقلصت الحدود الإدارية لوهران وفصلت عن إدارتها مناطق واسعة كولايات تلمسان وسعيدة ومعسكر وسيدي بلعباس ومستغانم وتيارت.

2.الإحتلال الإسباني لوهران وتحريرها من قبضته[2]:

أفادنا الزياني في دليل الحيران أن غزو النصارى الأسبان لوهران كان تحت قيادة فردينة في أوائل ربيع الثاني سنة 911هـ/موافق نحو أواخر شهر أوت 1505م كما قاله أبو محمد الشيخ عبد الله قاضي نهر بني راشد,فملكوا برج المرسى غرب وهران بحوالي 07 كلم واستقروا به إلى سنة 914هـ/1508م ثم دخلوا وهران على ما ذكره الشيخ أحمد بابا التنبكتي في نيل الإبتهاج ومثله في نزهة الحادي للإفراني وزاد أن ذلك في آخر المحرم من السنة 914هـ/موافق نحو آخر ماي 1508م,وبه قال المديوني في البستان والتغريري في رجزه,بينما ذكر الصباغ والحافظ أبو راس الناصري وغيرهما أن دخولهم لوهران كان سنة 915هـ في شهر صفر/موافق نحو جوان 1509م بمكيدة من اليهود وذاك زمن السلطان أبي قلموس الزياني(أبي حمّو الثالث),ثم احتلوا مدنا من بلاد الساحل الجزائري كمستغانم ومزغران [3]فأقاموا بها القلاع والحصون فقاومهم المسلمون وقادهم عبر فترات دامت نحو 205 سنة إلى أن قيض الله جنده بتحرير وهران تحريرها الأول بتاريخ صبيحة يوم الجمعة 26 شوال سنة 1119هـ/موافق نحو 20 جانفي 1708م على يد باي بايلك الغرب الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي بمساعدة ودعم داي الجزائر الداي أبي عبد الله محمد خوجة بن علي بكداش رحم الله الجميع وقد شارك في هذا التحرير إلى جانب الجيش النظامي طلبة العلم والعلماء والفلاحون وعمال الأرض والمجندون.

وعلى إثر هذا التحرير المبارك والإنتصار العظيم نقل الباي بوشلاغم مقر قاعدة بايليك الغرب من معسكر إلى مدينة وهران وشرع في تجديد عمران المدينة والنهوض بها.

وبعد نحو ربع قرن من تحريرها أعاد النصارى الأسبان إحتلالها ثانية سنة 1143هـ/1732م زمن الباي مصطفى بوشلاغم فعتوا فيها فسادا إلى أن حررها من أيديهم بعد نحو 60 عاما الباي محمد بن عثمان الكبير رحمه الله تعالى كما أفاده صاحب دليل الحيران بتاريخ يوم 04 أو 05 رجب ضحى يوم الإثنين سنة 1206هـ/موافق نحو 27–28 فيفري 1792م فطار خبر التحرير في الآفاق الإسلامية وحمد المسلمون الله على هذه النعمة,وقد شارك في هذا التحرير زيادة على الجيش النظامي طلبة العلم وحملة القرآن والمجاهدين من مختلف قبائل بايليك الغرب وقد ابلوا بلاء حسنا وسقط منهم شهداء كثر رحم الله الجميع.

3.ابن أبي محلي وتحريضه قبائل حوز وهران والأتراك على تحرير وهران من قبضة النصارى الإسبان عام 1016هـ/1607م:

أ.موجز ترجمته:

هو العلامة الفقيه الصوفي السلطان أبو العباس أحمد بن عبد الله بن القاضي بن أبي محلي السجلماسي(الفيلالي) دار سلفه ومسقط رأسه ودار نشأته, العباسي القرشي في نسبه الجثماني,الحراري الجزولي الشاذلي في نسبه الصوفي العرفاني ,نزيل قرى بني عباس بوادي الساورة بهذه الصحراء الجزائرية الغربية أمّنها الله وقدّس مواردها.

ولد عام 967هـ/1559م ببلاد سجلماسة الشهيرة أيضا بتافيلالت بالجنوب الشرقي المغربي,وبها درس مبادىء العلوم,ثم درس بمدينة فاس علوم الظاهر وتصوف بها ببادية تاستاوت على يد شيخه محمد بن مبارك الزعري التاستاوتي الحراري الجزولي الشاذلي الطريق,ثم هاجر إلى بلاد بني عباس بوادي الساورة من هذه الصحراء الجزائرية الغربية عام 1000هـ/1591م فصاهره شيخ البلد يومئذ في ابنته وأمضى آخر عمره بهذه القرية العبّاسية مقيما بها نحوا من عشرين سنة يدرس فيها العلوم الشرعية والصوفية,فذاع صيته وكبر ناموسه حتى أحبه العلماء شرقا وغربا قبلة وجوفا,وكانت له مواقف نبيلة إذلم يكن كبعض صوفية زمانه محبا للخمول بل كان يبحث عن أمور المسلمين ويهتم بها ويبكي حال الأمة يومها من تضييع السلاطين لشؤون الرعية حتى تغلب النصارى على كثير من ثغور الإسلام كبلاد وهران بالجزائر وبلاد العرائش بالمغرب,فألف في هذا المصاب الجلل الرسائل والأسفار يحرض بها الأمة للجهاد والتغيير.

قام بثورته السياسية العسكرية من بني عباس الساورية المذكورة ضد السلطنة السعدية الشريفة بالمغرب في مطالع سنة 1020هـ/1611م,فتقدم بجموعه يفتح بلاد الصحراء المتاخمة للجزائر والمغرب بلادا تلو أخرى وسكّ العملة باسمه ببلاد درعة الصحراوية المغربية,ثم تربع أخيرا على عرش السلطنة السعدية بمراكش عام 1021هـ/1612م.

هذا وقد قام بثورته المذكورة صارخا ومعتقدا بأنه الإمام المهدي المنتظر المبشر به في صحيح السنن والأخبار لغلبة حال وسواس المهدوية عليه حتى اعتقدها في

نفسه اعتقادا جازما,إلا أن البعض اتهمه بادعائه المهدوية في نفسه كذبا وبهتانا والحال على خلاف هذا الرأي حسب وجهة نظرنا التي أقمنا لها الأدلة القاطعة في كتابنا قيد الطبع عجّل الله تعالى بروزه في نيروزه الذي ألفناه في سيرة هذا العملاق المترجم على بركة الله تعالى بـ "السلطان السجلماسي الفقيه الصوفي المفترى عليه الإمام أحمد ابن أبي محلي مهدي وادي الساورة".

توفي رحمة الله عليه في آخر معاركه ضد السعديين بمراكش بتاريخ نحو 25 رمضان عام 1021هـ /موافق نحو 19 نوفمبر 1612م على الصحيح خلافا لمن جعل وفاته في رمضان سنة 1022هـ/1613م.

ترك رحمه الله تعالى رصيدا علميا كبيرا في شتى الفنون والمعارف جله في عالم المخطوط اليوم ببعض الخزانات الخاصة والعامة بالجزائر والمغرب ومصر[4].

ب. تحريضه قبائل حوز وهران والأتراك على تحرير وهران من قبضة النصارى الإسبان عام 1016هـ/1607م:

بينما كان ابن أبي محلي بمحل إقامته بقرية بني نيرت إحدى قرى بني عبّاس الثلاث يومها بوادي الساورة بهذه الصحراء الجزائرية الغربية وصلته رسالة خطية بتاريخ شهر ربيع الثاني عام 1016هـ/موافق شهر أوت 1607م بعثها إليه العلامة المجاهد الجزائري عبد القادر الراشدي شيخ بلاد بني راشد يومها بهذا الغرب الشمالي الجزائري على يد الشيخ المجاهد أحمد بورويس يناشده فيها تحريض قبائل زناتة وعرب بني عامر ومن جاورهم من قبائل بلاد حوز وهران لجهاد النصارى الإسبان المحتلين لبلادهم وهذا لما كان يمتاز به ابن أبي محلي من عظيم المكانة في أعين العامة والخاصة

تلا وصحراء غربا وشرقا سيما وقد كان كثير من خاصته ناهيك عن العامة يظن فيه أنه هو الإمام المهدي المنتظر مخلص الأمة آخر الزمان المبشر به في صحيح السنن والآثار.

فأجاب ابن أبي محلي السائل في رسالة نثرية ونظمية نظم فيها قصيدتين في الموضوع, إحداهما ميمية والأخرى رائية.

أما القصيدة الميمية فهي من 36 بيتا انتهى من تبييضها في كتابه إصليت الخريت المذكور بتاريخ 27 ربيع الثاني عام 1016هـ/موافق نحو 21 أوت 1607م خاطب بها الأتراك مستنهضا همم الخليفة العثماني التركي يومها السلطان أحمد بن خاقان العثماني، والأمير مراد رائس من أمراء بني عثمان، لجهاد النصارى الإسبان وصد اعتدائهم على بلاد وهران وناحيتها.

وأما القصيدة الرائية فهي من واحد وأربعين بيتا وجهها إلى قبائل بني عامر بالتل الوهراني، يلومهم فيها على تقصيرهم في الجهاد، ويبين فيها دور الشيخ العلامة الفقيه عبد القادر الراشدي المذكور في هذا الجهاد المبارك، ويبين حال الأمة من ضعف وعيث النصارى الإسبان الفساد في نساء الأمة وضعفتها.

قال ابن أبي محلي بخصوص هذه الرسالة في كتابه إصليت الخريت ما صورته :

((....هذا وأن الغازي المقدام الفارس الهمام الشيخ أحمد عُرِفَ بورويس نزيل بني عامر لما زارنا ونحن في الصحراء بقري بني عباس من وادي الساورة حماه الله من كل باس وحكى لنا ما فيه المسلمون من وهران ذات الخنازر ,وأن القلوب منه قد بلغت الحناجر,فاستدعي مني كتابا لشيخ زناتة الأحرار ,مع قبائل بني عامر الذين هم في

جوار الكفار ,وهو الشيخ المشهور في قبيلة بني راشد الصقور,وقدهم الله إلى يوم لقائه بالجسور والسرور ,عرف وفقه الله بالشيخ عبد القادر الراشدي من حلة[كذا:حلّة؟] علمائها حماة الدين بالألسنة والسنة,وكماتها أنصاره (للأعنة) والأسنّة,رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم,ومن كل معرة ومضرة وقاهم.فلما طلب مني الغازي المذكور ماتقدم في هذا المسطور وأسعفه لذلك بقصيدة رائية أيقظت بها هممها هامدة وقدايح خامدة من قبيلة بني عامر الساهية واستنجدت له معهم فيها حي أولاد طلحة والأحلاف مع سويد ومن والاهم في العرب الأشراف ثم نوهت خصوصا باسم عبد القادر مع براءة زناتة لما رغب مني من تقدم تخصيصه لما فيه من النجدة والمكانة أطال الله حياته,ولعل هذه أيضا تقع في يده اليمنى ليسعى في تبليغها إلى غاية اليمين,وحين جرى القلم في الطرس الأول بالقصيدة العامرية وقد عممت في دعواها القاصي والداني من رؤساء العرب وكرماء النسب وفحول القبائل ووجوه الأفاضل من ذوات الفضائل حتى العالم والولي فضلا عن الملك والكمي,فلما انفصل عني بتلك الغادة تذكرت خصوصية الأتراك بهذه الزيادة لأنهم أيدهم الله بتوفيقه ليوث بني آدم في الحروب,وعصابة الجهاد في هذه الأواخر العامة الكروب أيد الله مطيعهم بجنده ووفق بفضله مضيعهم لإقامة حدّه لعلّ سلطان بني عثمان في وقته يتحرك منه عرق الأسد الغضبان فيثور ثورة جدّه الهصور من الضراغم إلى الكلب العقور من الكفرة البهائم دمّر الله (وهرائهم) وهد بعزّة الإيمان في كل ناحية أركانهم,فأقول متوكلا على الله ومختصرا ما يطول لتقبل فيصول سلطان إسطنبول بعون الله على وهران التلول (–) له

الفحول وأبناء العـــرب والبربـــر في الوعـــور والســـهول لعلـــي بهـــا إن شـــاء الله أبلـــغ المأمول,فقلت وبالله استعنت على ما أملت ومن كل عثرة استقلت:

ومن مبلغ أيضا ملوك الأقالم*** وكل رئيس من رؤوس العمائم

وكل همام مائل في حمائل*** على متن جار سابق في العزائم

وكل زعيم مولع عن جدوده*** يصيد الضواري من فحول الضراغم

وسلطانها التركي في دار عزه*** وفيت علاه في دهاة الطماطم

وجند بني عثمان في كل قائد*** جيوشا كموج البحر عند التلاطم

يريدون من وهران ما سبق القضا*** بتنفيذه للوقت في جفر عالم

يخوضون لجا في سفائن رائس*** مرادٍ لدين الله عز الأعاجم

وحرز بنات العرب من كل فاتك*** بأبكارها كالحور في قصر ظالم

يسوسهم المرتاد كل ثنية*** من الحرب بالتجريب من حد صارم

وصولة فحل صائل في (شتاثه)*** ووثبة ليث مغضب للـــ(–)

رسالة داع للكريمة وارثا*** سليمان في الأتراك من نسل سالم

يقول وقد (أشقى) على اليأس نادب***لفقدان غوث من ملوك الأقالم

ابسطوا من إسطنبول سطوة(–)*** من الضيم (بالأعوال) حاقان حاكم

وهل تصطلي الأعدا نار إضطرامه *** لهب رياح النصر من برد دارم

وهل يأمل الغرب الغريب مظاهرا *** من الشرق يأتي في بحور الملاحم

وهل يسعى المقدام داعي رشده *** لإرغام أنف الكافر المتعاظم

أم الملك التركي الهاد ما به *** عن الغرب والإفرنج ليس بنائم

فما لبني عثمان في سنة الوفا*** ووهران تزهي نخوة بالمراغم

ويا معشر الأتراك ما بال سعيكم*** وكلكم أعماله بالخواتم

ألستم أخذتم دار ملككم التي*** من أشراطها وهذه في العلائم

وقد صغى المرحوم جدكم السمي***قرون الثريا عنوة و(التعاليم)

ودانت له البلدان حتى عراقها *** إلى يمن و لم يخف لوم لائم

وفي مغرب البدرين نشر بنوده*** وأعجزكم بهران[بوهران] من مستغانم

بني الأسد (الهصار) ما الذل شأنكم*** ولا خطم من داهم متفاقم

عليكم سلامي ما أثرت بهذه** قدائح(–) بالقنا والصوارم

لعل أسيرا يحمد الله عندها***على فكّه من قيده بالقوادم

ومغصوبة تشتاق لثمة عازب*** تروق من الفتيان أبيض ناعم

فتاة عروب من حرائر عامر***تنازع والصديان ريقة باسم

لينفك من قيد المعرة زوجها*** على يد حر ماجد في الأكارم

يخاطر في حوز المعالي بنفسه*** إذا اكتفى دون حرزها كل خادم
وعلى(--) في الجزيرة ينتهي***إلى رومة بالويل من رأي حازم
إذا ما شريف من سلاطين غربنا*** يغار على الإسلام غيرة فاطم
(لتجري) ريح خذي طنجة حذوها*** لنفحة(-) من ثعابين هاشم
وتمتد أطناب الشريعة ظاهرا*** كما أفتر عن مكنونها أب قاسم
عليه صلاة الله ما هبّت الصبا*** بنشر (الكبا) ملأ اللها والخياشم
صلاة تعم الغرب والشرق نفحة***(خزامية) وردية من كمائم.

قلت:

وأنا في رقم هذه القصيدة في صفيحة هذا المبيض ورد عليّ من خلّ في الله تعالى وأنا بالوادي[5] ضحوة السابع والعشرين من ربيع الثاني الذي نحن في عامه المؤرخ قريبا في السنين[27 ربيع الثاني عام 1016هـ/موافق نحو 21 أوت 1607م] كتابا يؤكد فيه أن النصارى أخزاهم الله في أهبة وحركة للغرب الغريب بجند رهيب,والسلطان أيده الله في وقته,قال إن صحّ النقل عنه قد برح بالجهاد وأخوه صرّح بالعناد والمسلمون فيه من ذلك في هم وغاية الأنكاد تدارك الله أمته باللطف الجميل.....وبتاريخ أواخر ربيع الثاني عام ستة عشر بعد الألف[أواخر ربيع الثاني عام 1016هـ/موافق نحو 23 أوت 1607م],قال ذلك وبيده كتبه أحمد بن عبد الله غفر الله من ذنبه ما تقدم أو تأخر وخار له آمين,وسلام على المرسلين,والحمد لله رب العالمين.

ثم تتلوها رسالة (–) المتأوه لبني عامر في حكاية الكلب (المتموه) لعنه الله ودمره وأعان عليه جند الإسلام و(نصره),نصها بعد الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليما,إلى من سيقف عليه أو عليها من رؤساء القبائل وفرسان الحمائل مثل الشيخ عبد القادر الراشدي وأضرابه من كل قبيلة؛سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته من كاتبها أيضا بيده وهو أحمد بن عبد الله المذكور وبسببه؛ هذا وأن حاملها إليكم وهو الشيخ أحمد بورويس أحد أحبتنا في الله لما ذكر لي هو وغيره أنه من صناديد المسلمين وغزاتها وعقبان المصاولة بل وفي ميدان المبارزة من دهاتها و(يرجو) المحاولة من بزاتها,ثم إنه شكا لي طول غربته وقلة معينه على ما فيه بنو عامر من الذل والصغار وغلبة الكافر عليهم وغيبة الأنصار عياذا بالله من شتاة شمل أمة نبيه وتمزيق دين حبيبه وصفيه وإعواز مرقعه ومجدده مع (توافر) مقطعة ومبددة,وأن أهل وهران استحوذوا عليهم حتى صاروا يسبون كل حلة بما فيها من النسوان والرجال فضلا عن الأموال والأطفال ثم (يتاجرون) بكل ذلك على آخرين منهم ويتلقونهم بالإكرام والإجلال خوفا من سطوتهم,والكل ماد لهم رقبته (–) (بنقل) الخنزير حتى صبيتهم وبنات العرب الأحرار وتحت يهودي يتمتع بهن فضلا عن الأغلف من عبدة الصليب الكفار,ودين الطاغوت في ازدياد (عزو) الإيمان أقدامه (مستفزة) وجل بني عامر أو بعضهم في ظل المضل وامانه قالوا خوفا من جور الحاكم وأعوانه,ثم ذكر لي عنكم خصوصا يا بني راشد أرشدكم الله أنه لا مثيل لكم في جهاد الخنازير النصارى وأنكم إن لقيتموهم صاروا بين أيديكم حمرا مستنفرة فرت من قسورة,ورائسكم صقر وقبيلهم حبارى زادكم الله عزا ومهابة وعناية ونجابة,وكذلك كل من والاكم

وسعى مثل سعيكم من دهاة القبائل وحماة الدين من الرذائل ومعرة الرضا بالذل المسخوط عليه الملعون,فإنا لله وإنا إليه راجعون من غلبة الهوى على قلوب الخليقة وانطماس البصيرة من العام والخاص عن واضح الطريقة,كيف أصبح الكفر الذليل ورجله على رقبة كل لابس أكليل والسلطان عنه نائم والقائد هائم والقبائل منهزمة والوسائل منخرمة فلولا أن هذا الفارس بنباه حرّك فيّ الدفين وأثار من السجايا ما يعلمه الله في (الكمين) ما تأوهت ولا (تفوهت),فيا لله عليكم إلا ما أعنتموه إن استعانكم في شيء من أمره لعلكم تشغلونهم حتى يأذن الله بنصره ولو بسرية بشرط أن لا يفرط ذو (تغرة) في التقية,وقد ذكر لي بعضهم أيضا عن بقية بني عامر أن منهم من يروم الدخول في أمن الكافر كما فعل (–) الذين يبيع (منهم) وهم المسلمين لا عدا الله الكافرين لما (–) المجرم بالمال وحلّهم قالوا لم يزل علي صريح الإيمان لولا الإذلال بـ(–).فيا لها من شماتة ما أخطرها وإهانة ما أسوأها,فتبا لمسلم لا غيرة له,وسحقا لمؤمن لا همّة له معه,فأين أولو العلم وولاة الحكم وشيوخ الحلل ولحاء الملل,أما علموا أما علموا بسبي الأبكار واستعلاء الأغلف على كل غيداء كالفرس تحت الحمار,فواها على حرمة هُتكت,وهمّة فُتكت,فأين الفحول من العرب والبربر,وأين ليوث الحرب في البحر والبر,أنام سلطان الترك فيوقظه من سنته أيده الله,أم شغله ما هو فيه عن هذه الخصلة ,والغير لاه,واهل العمائم والتيجان و(المغفر) واللثام وخصوصا بني راشد فيمن والاهم من الأنام,وهذه وهران في نخوة تزهي وأنتم النيام,لا إله إلا الله,ذلّ الإيمان الأعز و(–) الفسوق والكفران,آه من هذه المحنة,والله المستعان:

فمن مبلغ عني قبائل عامر*** ولاسيما من قد ثوى تحت كافر

وكل كمي من صناديد راشد*** بتيجانها مع رأسها عبد القادر

وكل مهيب من ضراغم غابة*** إلى جبل أشباله كالبرابر

وجيرانهم في العرب من كل ماجد***طويل القنا أهل الوفا والمغافر

وطلحة والأحلاف في غرب هذه*** وشيخ سويد بل وكل مفاخر

وشيخ بني يعقوب والحامي الفتى***بكل قبيل مولع بالعساكر

ويا معشر الإسلام في كل موطن***وفي كل ناد سالف ومعاصر

ويا سادة العربان من آل هاشم*** وغيرهم بالله ما صبر صابر

ويا معشر الأتراك يا كل عالم*** وكل ولي حافظ للأوامر

أناشدكم بالله ما عذر كلكم*** لدى الله في وهران أم الخنازر

أذلكم الجبار كيف رضيتم*** بسبي العذارى من بنات الأكابر

فأصبحتم من جور البغاة كأنكم*** يهود الجزا تعطونها في الأصاغر

فلا همة تعلو بكم عن دنية*** ولا غيرة تدعوكم للمآثر

ولا ذمة ترعونها في نبيكم*** ولا حرمة تحمونها بالبواتر

عليكم أكاف الذل أين فحولكم*** أما أبصروا في السبي غير الحرائر

وتحت اليهودي غادة عربية*** يعاليها والخنزير فوق الهزابر

وما منكم إلا خصي أذله*** بهيسمه النصراني يا آل عامر

أضيم الملوك أم تغلب ظالم*** عليكم رماكم في جوار الكوافر

فيا لرسول الله يا خير وافد*** أتى بالتحدي للناس من عند قاهر

(أسنتك) الغراء أصبح وجهها*** عليه سواد الخزي من ظلم جائر
ومن سطوة(النصراني) أمسى شجاعا***يلوذ به فارتد بعض الأباتر
وقام صليب الشرك يزهي بنخوة*** وقام خطيب الإفك فوق المنابر
وصلى لغير الله في المسجد الذي***يوحد فيه الرب عبد التصاور
أترضى رسول الله لو كنت شاهدا*** وربك حي عزة المتصاغر
وذلة من يقفوك حاشاك هذه*** إلى كم تنام عن إغاثة (مناجر)
ولهتك(–) عنك (تقابل)*** و(تركه) كالشيء في دار بائر
ومن(مجدك) المعروف إنك سيد***ومثلك لا يخزيه (خزي) الدوائر
وفي فلك العليا (مجدك) ساطع***و(نلمسك) تخفي ضحوة كل نائر
فعيسى وموسى بل وآدم كلهم***بجاهك يوم الحشر حامد شاكري
وما ذا الحق الطام يا خير آخذ*** بثاراته لله من كل ثائر
(فادن) بإذن الله واشفع لأمة***لعلك ترضى(فعلها) في الجزائر
وينهد من تكبيرها سور رومة *** على رأسه من جلبة للغضافر
فحق متى والوعد حق ومن يقم*** بغي (إذن) سعيه سعي خاسر
ولو رام امرؤ نصرة الدين غيرة***عليك لقيل قائم في الكبائر
فيا حسرة(المضغوط) والتغلب بالغ*** بغصته في الوقت حدا الحناجر
ألا نفحة تحيينا يا سيد الورا*** عليك سلام الله من فمي ذاكر
(–) إمام الرسل كيف تصبري*** عن أمته ودينه في تداثر
وسنته البيضاء أصبح رسمها***يبكي صخور الشمّ في كل غامر

فلا عالم يهدي ولا صالح يفي*** بذمتها والكل في حكم حائر
إلى الله ما أشكوه من ريب حادث***يقل الظهور لو دنا كل فاجر
وأنذركم من قبل وهران عاويا*** سماجة بالجيم من عجل سامر.)) [6].

قال الزياني في دليل الحيران معقبا على القصيدة بما صورته:

((وأشار بقوله "وتحت اليهودي..الخ" إلى تعيير بني عامر بما كان لليهود عليهم من الصولة مع النصارى، وذلك أن اليهود كانوا نازلين بمرسى هذا الثغر لكون تولية النصارى لها كانت على أيديهم، فكان يخرج العامل منهم على خراجات بني عامر فيترل عليهم نزل الملك في مملكته بالأمر والنهي والتصرف التام – كما مر– ، وكانوا يملكون الأسارى من المسلمين ذكورا وإناثا..)) [7].

وفي رسالة ابن أبي محلي التحريضية لبني عامر المذكورة ناشد فيها صاحبها الإمام المهدي المنتظر بتعجيل ظهوره إذ قد بلغت القلوب الحناجر، وحال الأمة في انحطاط.

هذا وقد لمح ابن أبي محلي في كتابه إصليت الخريت أن فتح بلاد وهران وتخليصها من النصارى يكون على يد الإمام المهدي، أو عن إذنه فيما يقوله من لا علم له بالحقيقة، أو يكون ذلك قريبا بين يدي ظهوره [8].

قال الزياني في دليل الحيران ناقلا كلام أبي راس الناصري ثم عقب عليه وكأن أبا راس الناصري كان ضد من يزعم زعم ابن أبي محلي المذكور في فتح وهران وهو ما صورته:

((قال الحافظ أبو راس في عجائب الأخبار:"ظهر للناس بعد فتحها حينئذ كأن الباشا هو الشخص الذي كانوا يتمنون وجوده من غير معرفة عينه، وأما الأعيان الذين كانوا يظنون وقوع هذا الفتح على أيديهم فلم يصدق الله تعالى ظنهم فيها، وذلك أنهم كانوا يزعمون أن هذا الفتح لا يكون إلا على يد الإمام المهدي الفاطمي، فكانوا يترقبون لهذا الأمر وجوده، وينتظرون لهذا الثغر وروده، واحتج بعضهم لذلك بما وقع في الحذيفية نسبة لحذيفة بن اليماني رضي الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه إذا أراد الله ظهوره، يأمر تبارك وتعالى بخرائب المدائن والقرى، فيخرب الشام ومصر وترشيش ومديونة وطرابلس ووهران وطنجة وسبتة وسلا والدار البيضاء وخولان وزرهون وسوس الأقصى والأدنى."اهـ.

وقال بعضهم وقد اختلف في معنى الخراب على أربعة أقوال.فقال المحتج بهذا المراد بالخراب هنا أن وهران وطنجة وما ذكر معهما ستخرب على النصارى أو تزول من أيديهم.فأول الخراب بالزوال وبهذا قال أبو العباس أحمد بن عبدالله بن أبي محلي الساوري ثم المراكشي[9] في كتابه الإصليت في الرد على العفريت النفريت، ثم قال:"كنا نسمع في وهران أنها يفتحها المسلمون بين يدي ظهور الإمام المهدي أو على يديه....))

ملحق ورقة 20 وجه من إصليت الخريت (نسحة الخزانة الحسنية رقم 100)

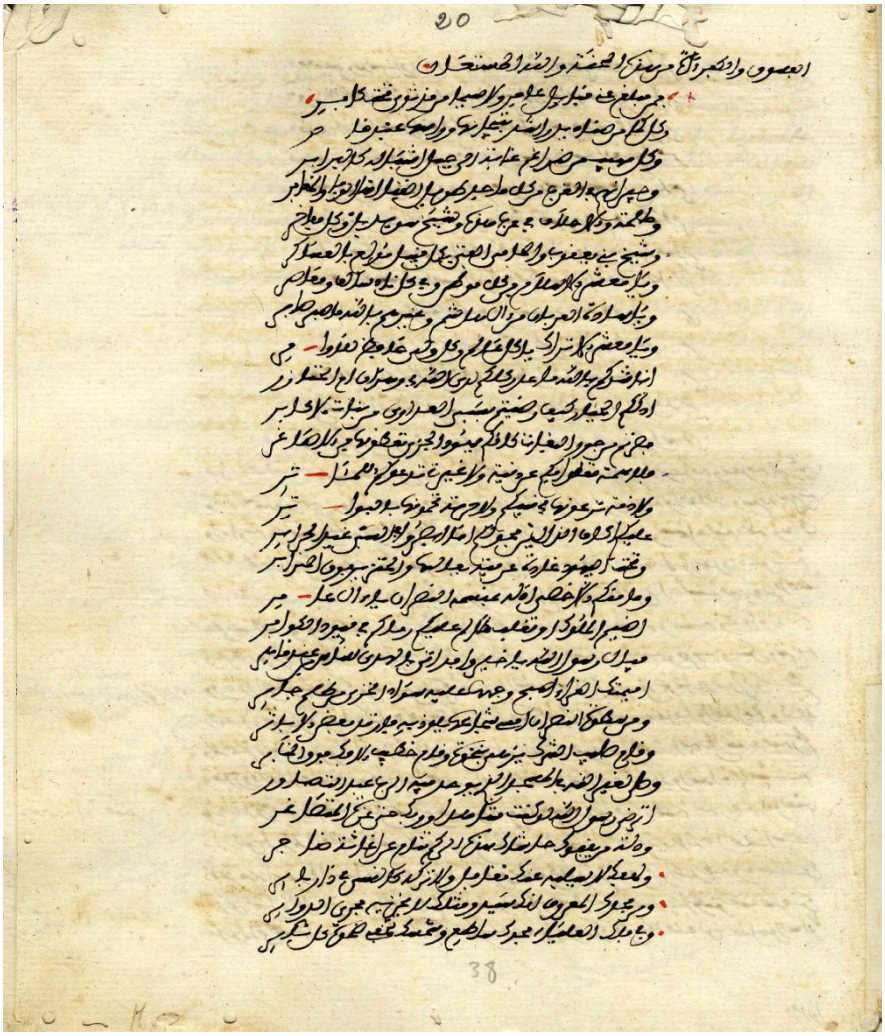

الإحالات

(1)- أنظر:

-يحي بوعزيز,مدينة وهران عبر التاريخ,دار الغرب للنشر والتوزيع,وهران-الجزائر,2002م.ص29.

(2)- أنظر:

-محمد بن يوسف الزياني(كان حيا عام 1333هـ/ 1914م)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، والمكتبة الوطنية الجزائرية 1978م.صص141- 168.

-يحي بوعزيز,مدينة وهران عبر التاريخ.صص69-113.المرجع السابق.

(3)-يستحسن لمعرفة أخبار الإحتلال الإسباني للجزائر وجهاد الجزائريين له مطالعة:

- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492م- 1792م)، الطبعة الأولى 2007م، دار البصائر للتوزيع والنشر، الجزائر.

(4)- أنظر ترجمة ابن أبي محلي في:

-أبو العباس أحمد بن عبد الله بن القاضي بن أبي محلي السجلماسي العباسي(ت1021هـ/1612م)،إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت أو عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر و قادة العصر، مخطوط رقم: 431 أدب، دار الكتب المصرية، القاهرة- جمهورية مصر العربية.(كل صفحات الكتاب).

-دي هنين خورخي(توفي بعد عام 1627م/1037هـ)،وصف الممالك المغربية(1603م-1613م) مذكرات خورخي دي هنين،مقدمة نقدية وتحقيق نوركواتو بيرس دي كوثمان،ترجمه إلى العربية عبد الواحد أكمير،منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط بالمغرب،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء- المغرب،1997م.صص131- 172.

-الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102هـ/1691م)،المحاضرات في الأدب واللغة،تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال،دار الغرب الإسلامي،بيروت- لبنان،1982م. ج1/صص 261- 264.

-محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبدالله الإفراني(توفي بين سنتي 1154هـ-1157هـ/1742م- 1745م)،نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق عبداللطيف الشادلي،ط أولى1998م،مطبعة النجاح،الدار البيضاء- المغرب.صص 295- 308.

-أبوالعباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي(ت 1315هـ/1897م)،الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب،الدار البيضاء- المغرب، 1997م.ج6/ صص26- 50.

-عبد الوهاب بن منصور(ت1429هـ/2008م)،أعلام المغرب العربي،المطبعة الملكية بالرباط بالمغرب 1990م.ج5 /صص 286- 307.

-محمد حجي(ت1424هـ/2003م)،الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الطبعة ثانية1988م،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء- المغرب.صص 142- 148.

-عبد المجيد القدوري،ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت، مطبعة عكاظ، الرباط – المغرب،1991م.

-عبد الله حمَّادي الإدريسي، السلطان السجلماسي الفقيه الصوفي المفترى عليه الإمام أحمد ابن أبي محلي مهدي وادي الساورَة.(تحت الطبع).

(5)-أي بوادي الساورة المذكور.

(6)- ابن أبي محلي، إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، ورقات:51- 59.المصدر السابق.

(7)-محمد بن يوسف الزياني(كان حيا عام 1333هـ/ 1914م)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران.ص157. المرجع السابق.

(8)- أنظر:

- ابن أبي محلي، إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت...الخ.صص61- 62.المصدر السابق.

(9)- يقصد أبي راس هنا صاحبنا ابن أبي محلي.